

الفصل الخامس

مدى تمثّل الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية الدنيا في الأردن للقيم الإنسانية

تيسير القيسي^(*)، محمد الرفوع^(**)، أحمد القرارة^(***)

ملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف إلى القيم الإنسانية التي تضمنتها كتب اللغة العربية في الصفوف من الأول إلى الثالث من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن من خلال رصد تكرارات تلك القيم ومعرفة نسبتها المئوية. وقد استخدم الباحثون أسلوب تحليل المحتوى لتعيين القيم الإنسانية المتضمنة في أداة التحليل التي تم بناؤها لهذه الغاية، وقد عدت العبارة (الجملة) وحدة عملية التحليل، وتم رصد تكرارات القيم ونسبتها المئوية في تلك الكتب. كما تم التأكد من صدق عملية التحليل وثباتها بمشاركة أربعة من طلبة الدراسات العليا في التربية، ممن ألموا بمنهجية تحليل المحتوى، وقد استخدم معامل الارتباط الرتبي للمقارنة بين تحليل الباحثين والطلبة فبلغ معامل الثبات (٠,٨٩)، وقد تم تقسيم التكرارات إلى ثلاثة مستويات هي: مرتفع (٣١ مرة فأكثر)، متوسط (١٦ - ٣٠ مرة) متدن (١ - ١٥ مرة). وقد أظهرت نتائج الدراسة: أن من القيم التي تكررت بشكل مرتفع (٣١ مرة فأكثر): التعاون، حب التعلم، الأمانة، التذوق الجمالي... الخ، ومن القيم التي تكررت بشكل متوسط (١٦ - ٣٠ مرة): الصدق، الإنجاز، الحياء، احترام الآخرين، الإبداع... الخ، ومن القيم التي تكررت بشكل متدن (١ - ١٥ مرة): تحمل المسؤولية، الادخار، حب الطموح، الثقة بالنفس، البعد عن التفكير الخرافي... الخ. وفي ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثون بإجراء دراسات مماثلة على الكتب الأخرى لمختلف الصفوف، وأخذ القيم التي كان تكرارها متدن لتضمينها في الكتب المدرسية مستقبلاً.

(*) جامعة الطفيلة التقنية-الأردن.

(**) جامعة الطفيلة التقنية-الأردن.

(***) جامعة الطفيلة التقنية-الأردن.

أولاً: الإطار النظري

يشكل الكتاب المدرسي المحور الأساسي في العملية التربوية، إذ انه يشتمل العناصر الفاعلة فيها، والتعبير الصادق عن المنهج. ويعرف بأنه: مجموعة من الوحدات المعرفية التي تم اختيارها وفقاً لأعمار المتعلمين الزمنية بهدف تحقيق نموهم المتكامل في جميع جوانب الشخصية لمساعدتهم على التكيف مع ذاتهم ومجتمعهم.

ويعدّ الكتاب المدرسي من أهم عناصر المنهاج لأنه يحدد للتلاميذ ما سيدرسونه من معلومات ومهارات وما يتمثلونه من قيم ويبقى على عملية التعليم مستمرة كما يشار إليه على أنه من أكثر الوسائل التعليمية فاعلية وكفاءة في مساعدة المدرس والطالب.

ولما كان الكتاب المدرسي أبرز عناصر العملية التربوية ومدخلاتها ولأهميته في تشكيل شخصية الطالب وتلبية حاجاته الفردية والاجتماعية والقيمية، فانه لا بد من القيام بعملية التحليل والتقويم لاستقصاء مدى تمثله للقيم الإنسانية وبخاصة ونحن نعيش في عصر تتسارع فيه القيم وتتغير مفاهيمها نتيجة الانفتاح وسهولة الاتصالات وسرعتها.

إن الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية الدنيا هي أول ما يدرسه الطالب في المرحلة العمرية (٦-٩) سنوات التي تتسم حسب ما أشار بياجيه بظهور اهتمام الطفل بالآخرين، ويصبح لديه حب الاستطلاع، وتمثل القيم، واكتساب العادات والتقاليد، ويبدأ يتخلص بعض الشيء من التمرکز حول الذات، وتبدأ اللغة تتطور لديه من لغة (الأنا) إلى لغة (نحن).

والكتاب المدرسي عامل من عوامل جمع الأمة على أيديولوجية واحدة، وهو مصدر من مصادر المعرفة المتنوعة، وعامل من العوامل المتعددة التي يستعان بها في المجال التربوي، بالإضافة إلى أنه أداة من أدوات النمو اللغوي، ووسيلة من وسائل التعلم الذاتي. ويعتبر الكتاب المدرسي ملتزماً نحو المجتمع والدولة، فهو يلتزم بالقيم والمبادئ والعقيدة والنظام الاجتماعي للدولة؛ ولهذا لا يجوز أن يتعارض مع أي من هذه الأمور بل يجب أن يكون عاملاً من عوامل النهضة في المجتمع والإسهام في حل مشكلاته، والعمل على تحقيق خطط تنميته الشاملة، ولا يعني هذا

أن تقتصر وظيفته على نقل التراث والمحافظة عليه فحسب، وإنما يجب أن يكون وسيلة إلى التقدم والتطور في ضوء مبادئ المجتمع وقيمه، كما أن الكتاب المدرسي وسيلة من وسائل تنشئة الأجيال الصاعدة، وهو بذلك ملتزم بأهداف التربية وفلسفتها ولهذا يجب أن يتم تأليف الكتاب المدرسي واستخدامه في إطار رؤية واضحة لتلك الأهداف.

ويرى دموعة ومرسي (دمعة ومرسي، ١٩٩٢) أن الكتاب المدرسي جانب من جوانب المنهاج، وهو المؤثر المباشر في حياة الطالب، وهو من أكثر الوسائل المتوفرة في محيط الطالب الدراسي، وهو مرجعه الأساسي، يعتمد عليه في إثراء معارفه ومعلوماته وخبراته، يرجع إليه عند الامتحانات باعتباره سجلاً مطبوعاً وليس قولاً مسموعاً، لذا فهو يؤثر في جوانب مختلفة، فهو يقرؤه كلما أحب، ويرجع إليه في كل لحظة، إذا نسي حقيقة من الحقائق، أو معرفة من المعارف أو حادثة من الحوادث. والكتاب المدرسي ليس مجرد وسيلة معينة على عمليتي التعليم والتعلم فحسب، وإنما هو صلب هاتين العمليتين وجوهرهما، فهو الذي يحدد للتلميذ ما سيدرسه من معلومات، وهو الذي يبقي على عمليتي التعليم والتعلم مستمرتين. ولم يعد الكتاب المدرسي في عالمنا المعاصر وسيلة من وسائل التعليم العادية، بل أصبح أداة من أهم أدوات التعليم في عصر التفجر العلمي، وانتشار التعليم وتقدم العلوم والمعارف في كل مجال من مجالات الحياة، الأمر الذي جعل من الكتاب بعامة والكتاب المدرسي بخاصة ركيزة أساسية من ركائز التقدم والتطور في أي مجتمع من المجتمعات.

ويرى الجمبلاطي والتوانسي (الجمبلاطي والتوانسي، ١٩٩١) أن الكتاب المدرسي وعاء يقدم للتلميذ زاد المعرفة، وتقاس درجة نجاحه بمدى قدرته على جذب المتعلمين نحوه، وهو بالنسبة للمنهاج سجل يدون فيه ما يختار للتلاميذ من الحقائق والمعلومات المفسرة والمشروحة التي تناسب الخصائص النفسية للتلاميذ، وهو من أهم الوسائل التعليمية للطالب، والساعد الأيمن للمعلم.

ويرى شاهين (شاهين، ١٩٩٩) أن الكتاب المدرسي مصدر من مصادر التعلم المقروءة، ويشتمل بطريقة منظمة على الجانب المعرفي المراد إكسابه للطالب، وعلى جوانب مساعدة ومساندة في اكتساب الطالب لهذا الجانب بوقت وكلفة وجهد اقل وبإنتاجية عالية.

ويذكر رضوان وزملاؤه (رضوان وزملاؤه، ٢٠٠٠) أن الكتاب المدرسي سبق المدرسة إذ وجد قبل ظهور المدرسة كمؤسسة متخصصة للتربية والتعليم، واسهم عند ظهور المدارس في نقل التراث الاجتماعي، فكان أداة المنهاج المدرسي في نقل العلوم و المعارف من جيل إلى جيل، ثم أصبحت الكتب التي اشتملت عليها المكتبة العربية مادة للتعليم في المدارس، وبهذا انتقلت وظيفة الكتب من كونها أدوات لحفظ التراث، وكتبا للإطلاع العام، إلى كتب مدرسية عكف المعلمون على قراءتها وشرح مادتها وتفسيرها للطلاب، وعكف الطلاب على استيعاب مادتها وحفظها، وبلغ من تركيز عملية التعليم على الكتاب المدرسي أن انصب الامتحان على كتاب بعينه، واقتصرت الشهادة التي تمنح للطلاب على نتيجة امتحان في كتاب معين.

والكتاب المدرسي كما يقول كاظم وجابر (كاظم وجابر، ٢٠٠٢) من أكثر الأدوات التعليمية اعتمادا على الرموز اللفظية والرموز البصرية، وقد كان وما يزال من أكثر الأدوات التعليمية التي تستخدمها المدارس، إذ تعتمد المواد الدراسية التي تتضمنها المناهج الدراسية في المراحل التعليمية المختلفة على بعض الكتب المقررة، ولا أحد ينكر أن الكتاب المدرسي يعد ركيزة أساسية للمعلم في العملية التعليمية، فهو يفسر الخطوط العريضة للمواد الدراسية وطرق تدريسها، ويتضمن كذلك المفاهيم الأساسية والمعلومات والأفكار في مقرر معين، ويتضمن كذلك القيم والاتجاهات والمهارات المراد توصيلها إلى جميع الطلاب في صورة منظمة ومرتبطة، ومن الصعب أن يكون هناك تدريس فعال دون استخدام الكتب المدرسية وغيرها من المواد المطبوعة.

ويضيف سمعان ولييب (سمعان ولييب، ١٩٨٢) إن الكتاب المدرسي عامل من عوامل جمع الأمة على أيديولوجية واحدة، فالكتب المدرسية - على سبيل المثال - في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) يجب أن تشتمل على تفسير أيديولوجي صحيح للمادة الدراسية، ويساعد وجود كتب مدرسية موحدة على الاحتفاظ بمستوى تعليمي واحد تقريباً في جميع أنحاء البلاد. والكتاب المدرسي كما يشير الدويهيس (الدويهيس، ١٩٨٩) مصدر من مصادر المعرفة المتنوعة، وعامل من العوامل المتعددة التي يستعان بها في المجال التربوي، بالإضافة إلى انه أداة من أدوات النمو اللغوي ووسيلة من وسائل التعلم الذاتي، ويعتبر الكتاب المدرسي ملتزماً نحو المجتمع والدولة، فهو يلتزم بالقيم والمبادئ والعقيدة والنظام الاجتماعي للدولة، ولهذا لا

يجوز أن يتعارض مع أي من هذه الأمور بل يجب أن يؤكدها ويدعمها ويعمل على تنقيتها من الشوائب، كما يجب أن يكون عاملاً من عوامل النهضة في المجتمع والإسهام في حل مشكلاته، والعمل على تحقيق خطط تنميته الشاملة، ولا يعني هذا أن تقتصر وظيفة الكتاب المدرسي على نقل التراث والمحافظة عليه فحسب وإنما يجب أن يكون وسيلة التقدم والتطور في ضوء مبادئ المجتمع وقيمه.

ويذكر رضوان وزملاؤه (رضوان وزملاؤه، ٢٠٠٠) أن بعض الدول لا تسمح لأي شخص بتأليف الكتب المدرسية إلا بعد موافقتها المسبقة وضمن حدود معينة، بقصد سلامة المحتوى لتلك الكتب، وخلوها من الأفكار والمعتقدات والاتجاهات التي تتعارض مع سياسة الدولة وفلسفتها التربوية، وعقيدة الأمة وأهدافها، ويقول التباك (التباك، ١٩٩٣) أن الكتب المدرسية في عهد الاستعمار كانت تصمم طبقاً لمواصفات المستعمرين وبعضها من إنتاج الموظفين المستعمرين، وتنسخ عن النماذج الأجنبية وتستوحي سياسة الدولة المستعمرة والسياسة التربوية تعكس حاجات هذه الدولة إضافة إلى أن مناهج التعليم تعكس اختباراتنا.

ونظراً لأهمية الكتاب المدرسي وتحقيقاً للفائدة المنشودة منه سعى بعض التربويين إلى تحديد أسس يبنى عليها الكتاب المدرسي، ومواصفات للكتاب المدرسي الجيد، فقد حدد رضوان وزملاؤه (رضوان وزملاؤه، ٢٠٠٠) الأسس التي يقوم عليها الكتاب المدرسي وتشمل الأساس الفلسفي الذي يقصد به تعبير الكتاب عن فلسفة المجتمع. والأساس الاجتماعي ويقصد به صلة الكتاب الوثيقة بثقافة المجتمع وتلبية حاجاته وتحقيق أهدافه والأساس النفسي ويقصد به مراعاة الكتاب لطبيعة المتعلمين ونظريات التعلم. والأساس المعرفي ويقصد به مراعاة الكتاب لطبيعة بناء المادة العلمية. وطريقة تأليف الكتاب وإخراجها ومتابعته وتقويمه.

كما حدد دموعة ومرسي (دموعة ومرسي، ١٩٩٢) مواصفات الكتاب المدرسي الجيد موزعة على أربعة مجالات هي: كفاءة المؤلف وسمعته العلمية، ومادة الكتاب ومحتواه إذ يشترط أن تكون ممثلة لمفردات المنهاج، وتحقق أهدافه، وتتصف بالدقة والحدثة ومناسبة لمستوى التلاميذ ومراعية لحاجاتهم وميولهم وترتبط بخبراتهم وحياتهم وتنمي عندهم القدرة على التفكير وان تكون أنشطتها متنوعة وشاملة، تناسب التلاميذ وتراعي الفروق الفردية بينهم، وان تكون الوسائل التعليمية مناسبة للمادة العلمية وللتلاميذ، وتتصف بالحدثة، وان يتوفر التكامل بين الكتاب والكتب

الأخرى، وان يتوفر في نهاية كل فصل من فصوله قائمة بالمراجع والمصادر والدوريات ليرجع إليها التلميذ من اجل إثراء معلوماته، وتوسيع آفاقه وتنوع خبراته. ويتعلق المجال الثالث بلغة الكتاب وأسلوب عرضه، ويشترط أن تكون اللغة واضحة وسهلة مناسبة لمستوى التلاميذ اللغوي. وان يكون أسلوب عرض المادة شائقا يثير المتعلمين ويدفعهم للتعلم الفعال، ويتعلق المجال الرابع بشكل الكتاب وإخراجه، إذ يشترط في الكتاب المدرسي أن يكون حسن المظهر، ملائم الحجم، جيد الورق، متين التجليد، متقن الطباعة، واضح الأحرف، خاليا من الأخطاء اللغوية والطباعية.

وإذا كان تقويم الكتاب المدرسي أمرا مرغوبا في كل الأوقات، فانه أمر ضروري في وقتنا الحاضر، وذلك لمراجعة الأساليب التربوية، في عصر يتسم بالتفجر المعرفي والتقدم العلمي في مختلف الميادين (عبيدات، ١٩٨٩)، ويرى إبراهيم (إبراهيم، ٢٠٠٢) أن التقويم عملية تعنى بإصدار قرارات عملية تستند إلى أدلة كشفت عنها الممارسات الميدانية، فهي عملية تشخيصية علاجية، تؤدي إلى تطوير المناهج، وتحسين مستوى الكتب المدرسية، وتحسين عملية التدريس، وتوضيح ما في الكتب من أنشطة ووسائل، مما يزيد من فاعلية استخدامها، وعملية تقويم الكتب وتحليلها تقود إلى توضيح الأهداف ومصادر اشتقاقها. ويرى المتوكل (المتوكل، ١٩٨٩) أن عملية تقويم الكتب المدرسية تفيد من حين لآخر في الكشف عن نقاط الضعف للعمل على إزالتها، ونقاط القوة للإبقاء عليها. كما يرى عبد الله (عبد الله، ١٩٩١) أن تقويم الكتاب المدرسي بشكل مستمر أمر مهم وضروري، ذلك لأنه يكشف لنا عن مدى صلاحية أهم أداة من أدوات التعليم والتعلم تكون في متناول يد المعلم والطالب، خاصة بعد أن تغيرت نظرة التربويين إلى الكتاب المدرسي، فبعد أن كان ينظر إليه على انه لا يجوز النظر فيه، أو إبداء الرأي حوله، نراه اليوم يؤكدون على أن يكون للمعلم والطالب وكل من له علاقة به رأي من اجل التطوير والتحسين، ويرى عطية (عطية، ١٩٩٩) أن تقويم الكتاب المدرسي عملية ضرورية تملئها اعتبارات ثلاثة: الاعتبار الأول هو أن الكتاب المدرسي أداة تعليمية مهمة ينبغي أن تكون جيدة وصالحة في يد كل من المعلم والطالب، والتقويم هو الوسيلة الصحيحة التي تعرفنا بهذه الجودة والصلاحية، وهو سبيل تنميتها فيما بعد. والاعتبار الثاني هو أن عملية تأليف الكتب المدرسية عملية تنافسية في كثير من

البلدان، وقد أدى هذا إلى وجود أكثر من كتاب للمادة الواحدة للصف الواحد، ولهذا لا بد من عملية تنقية وتصفية لهذه الكتب، والتقويم هو السبيل لذلك، والاعتبار الثالث هو أننا نعيش في مجتمع متغير متقدم في العلوم الطبيعية والاجتماعية والرياضية بصورة لم يسبق لها مثيل، وهذا التغير والتقدم يقتضيان على الدوام إعادة النظر في العملية التعليمية التعلمية بعناصرها المختلفة، ومراجعتها وتعديلها، والكتاب المدرسي من أهم هذه العناصر، وإعادة النظر والمراجعة والتعديل أجزاء أساسية من التقويم.

ويضيف أبو حلو (أبو حلو، ١٩٩٦) أن تحليل الكتاب المدرسي يقدم دليلاً واضحاً لمؤلفي الكتب المدرسية، كما يساعدهم في توضيح الأهداف المعرفية والانفعالية والحس-حركية، وما يستلزمها من وسائل وأنشطة وتقويم. كما ويرى مبوي (مبوي، ١٩٩٨) أن تحليل مناهج التعليم من خلال الكتب المدرسية يمثل تقليداً راسخاً في مناهج البحث، ومن المسلمات أن الكتب المدرسية تشكل مؤثرات جيدة على القيم المركزية التي يسعى قادة بلد ما إلى تلقينها للأجيال الناشئة. وانطلاقاً من هذا تعد الكتب المدرسية نتاجاً يعكس قيماً وأنماطاً سلوكية وأهدافاً أساسية وتقاليد وعادات يفترض أنها تتفق وتوجهات قادة البلاد الأيديولوجية. ويعتقد خويلة (خويلة، ٢٠٠٠) أن عملية تحليل الكتب المدرسية وتقويمها عملية مهمة، وتزداد هذه الأهمية عندما يتصدى البحث لتقويم الكتب المقررة لتدريس اللغة العربية، لأن اللغة هي الوسيلة التي تساعد على النمو المعرفي والاجتماعي والنفسي للطالب، وتجعله يقف بقوة لمواجهة الحياة. فالمقررات اللغوية الصق بهذه الوظائف من أية مقررات أخرى كالإتاريخ والجغرافيا والعلوم على سبيل المثال.

ونظراً لأهمية الكتاب المدرسي ودوره البارز في العملية التعليمية التعلمية فقد اهتمت به الجهات المعنية بالعملية التربوية ممثلة بوزارة التربية والتعليم في الأردن. وعقدت الندوات والمؤتمرات المختلفة حول المناهج والكتب المدرسية. إذ عقد في عمان عام ١٩٨٠ مؤتمر العملية التربوية في مجتمع أردني متطور، نوقشت فيه قضايا تربوية متعددة ومنها الكتاب المدرسي، ومن أبرز توصيات المؤتمر المتعلقة بالكتاب المدرسي ما يلي:

١. تأكيد الكتاب المدرسي على ربط المادة التعليمية بالحياة العملية، وبقدرات التلاميذ وحاجات المجتمع.

٢. تحرير الكتب المدرسية بحيث تعرض فيها المعلومات والمفاهيم بطريقة ملائمة لتنمية الاتجاهات والعادات والقيم الحميدة بما يتناسب وقدرات التلاميذ.

٣. مراعاة الشروط التربوية اللازمة للكتاب المدرسي من حيث الأسلوب وحدائث المعلومات، وسلامة اللغة، والتنظيم، وحسن الإخراج، والطباعة والرسومات الفنية والأشكال والتجليد والتدبيس إلى غير ذلك (جرادات وعبد الحميد، ١٩٨٠).

وعقدت الحلقة العربية حول تخطيط المناهج الدراسية وتطويرها في عمان في الفترة الواقعة ما بين ١٨/٧-٦/٨/١٩٨٤، وأشارت نتائجها إلى أن الكتاب المدرسي في البلدان العربية يعاني من ضعف المحتوى العلمي، وقلة الاهتمام بتحليل المعلومات التي يقدمها، وضعف عنصر الإثارة والتشويق، والتركيز على جانب المعرفة والمعلومات، وقلة مراعاة المستوى اللغوي للتلاميذ، وضعف الإخراج الفني، وضعف التنسيق بين واضعي المنهاج ومؤلفي الكتاب المدرسي والمنفذين له في الميدان (وزارة التربية والتعليم، ١٩٨٤).

ولعل المؤتمر الوطني الأول للتطوير التربوي الذي عقد في عمان في أيلول عام ١٩٨٧ أحدث هذه المؤتمرات وأكثرها شهرة، إذ شاركت فيه وزارة التربية والتعليم، وقطاعات أخرى من الجامعات الأردنية والمؤسسات الخاصة، وجرى فيها مراجعة شاملة لمدخلات العملية التعليمية التعلمية، ومنها المناهج والكتب المدرسية. وكان من أهم توصياته المتعلقة بالكتب المدرسية ما يلي (جرادات وزملاؤه، ١٩٨٨):

أولاً: اعتماد أسلوب مؤسسي لتأليف الكتب المدرسية، وذلك بإتباع آلية جديدة في إعداد الكتب المدرسية، بحيث يؤخذ بطريقة المشروع المتكامل والمشاركة المؤسسية.

ثانياً: إتباع نسق جديد في تالف الكتاب المدرسي يبتعد عن السرد، ويعمل على تنمية التفكير العلمي والتعلم الذاتي.

ثالثاً: الاستفادة من التجارب العالمية في إعداد الكتب المدرسية وتطويرها.

رابعاً: التركيز على الاتجاهات الإيجابية، والقيم المستمدة من العقيدة الإسلامية والتراث العربي الإسلامي والثقافات العالمية المعاصرة.

خامساً: أن تكون الأنشطة التي يتضمنها الكتاب المدرسي وظيفية ترتبط بالمجتمع الأردني والبيئة العامة.

سادساً: تجريب الكتب المدرسية قبل تعميمها.

سابعاً: تعزيز الكتاب المدرسي بكتب أو كتيبات تثريه وتدعمه وتسانده.

ثانياً: مشكلة الدراسة وأهدافها

يرتبط تعليم القيم إلى حد كبير بالمفهوم الرئيسي للجشطلت الذي يقوم على الصيغة أو النمط أو البنية أو الكل المنظم، ذلك أن تاطير السلوك الإنساني في قيم معينة يعني وضعه «في نظام أو كل مترابط الأجزاء ترابطاً دينامياً بين الأجزاء وبين الكل ذاته».

إن كثيراً من قيمنا المحصلة هي نتيجة وعي إنساني موروث أو مكتسب من التجربة، فالقيمة ليست جزءاً من مجموع يتألف من أجزاء مضمومة بطريقة عشوائية، إنها جزء من نظام كلي متكامل لكل قيمة فيه مكائنها ودورها ووظيفتها ومبادئها التي تحكمها.

وفي كثير من الحالات يسلم المتعلم بقيمه المحصلة أو الموروثة دون استبصار، ويسهم الكتاب المدرسي بذلك حين يقدمها تقديماً مباشراً بصيغ تفريرية ولا يعرضها من خلال المواقف التي تقود إلى الفهم والقناعة الراسخة، والاستبصار الضروري لسيكولوجية الإدراك.

إن إغفال تعليم أي قيمة من القيم قد يؤدي إلى خلل في منظومة القيم المترابطة في بنيتها الكلية، فلا يمكن فهم قيمة العدالة مثلاً إذا لم يفهم المتعلم قيمة المساواة التي تستند إليها. . . ومن هنا فإن تعرف هذه القيم من خلال عملية التعليم ينطوي على الانتقال من موقف تعليمي غير واضح يقوم على التقليد والمحاكاة والتلقين إلى موقف له معنى تكون فيه القيم مفهومة ومقنعة. ويكون كذلك للسلوك البشري هدف ومغزى، فإن فهم هذه السلوك وتحليله يساعدان المتعلم على الانتقال من الاستبصار إلى التعميم، في نوع من التركيب الخلاق الذي يساعده على إعادة النظر في قيمه الذاتية وتعديلها.

والناشئة اليوم أحوج ما تكون إلى تعرف قيمها، والحكم عليها من خلال التفاعل الاجتماعي، واستبصار صراع القيم في ذواتهم أو محيطهم، وعبر المآزق

القومية والدولية القائمة على التوتر بين الشعوب ولاسيما أن امتنا تخوض معركة المواجهة مع عدو ناكر لكل القيم الإنسانية النبيلة، ففي تمليك طلابنا الوعي بقيمهم ومناقشتها من خلال الواقع الراهن محاولة لإدراك طبيعة العناصر أو المفاهيم التي يقوم عليها الصراع بين القيم، وطريقة ترابط هذه العناصر أو المفاهيم ببعضها البعض، ويتم إدراك المعلم والكتاب المدرسي للمحيط أو البيئة التي تقوم المشكلة فيها.

إن أول خطوة في تعليم القيم هو تحديد تلك القيم البارزة واشتقاقها من حاجات الفرد والمجتمع العربي الراهنة والمستقبلية، وهي قيم يسهل تعرفها من خلال المشكلات التي تعززها وتضمنينها في الأهداف التربوية في منهجية متدرجة ومتربطة، ويأتي الكتاب المدرسي ليعرضها من خلال مواقف ومشكلات ملموسة تساعد على استبصارها وإدراك العلاقات بينها.

فالأهداف التربوية محور كل نشاط تربوي يتصل بشخصية المتعلم من جهة، وكونها ترتبط بعلاقة وثيقة بقيم المجتمع من جهة أخرى، ومن هنا فإن عملية صياغة الأهداف التربوية تأتي في طليعة الجوانب الهامة لعملية التدريس نظراً لفائدتها في تحديد المنهج الدراسي ودورها في تأطير القيم التربوية المنشودة.

وبالتحديد تهدف الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي القيم التربوية الواردة في كتب اللغة العربية والتربية الاجتماعية للصفوف الأول والثاني والثالث الأساسي في الأردن؟

ثالثاً: مصطلحات الدراسة

الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية: هي كتب اللغة العربية، المقرر تدريسها من قبل وزارة التربية والتعليم للصفوف من الأول حتى الثالث.

القيم: مجموعة من المعايير التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته.

رابعاً: منهجية الدراسة ومجتمعها

يعرض هذا الجزء وصفاً لمجتمع الدراسة وطريقة جمع البيانات وتصنيفها

والمعالجات الإحصائية المتعلقة بها مما يهيئ لعرض النتائج والإجابة عن أسئلة الدراسة فيها، إذ وتعتمد الدراسة الحالية المنهج الوصفي الذي يتناول القيمة كما هي قائمة فعلاً، بقصد تشخيصها وكشف جوانبها عن طريق رصد معدل تكراراتها ومواطن التركيز عليها، ويستخدم الباحثون أسلوب تحليل المحتوى للتوصل إلى القيم التي تهدف إليها الدراسة.

وقد اشتمل مجتمع الدراسة على كتب اللغة العربية في الصفوف من الأول إلى الثالث من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن، واستخدم الباحثون أسلوب تحليل المحتوى Content Analysis في تحليل هذه الكتب، حيث اعتمدت الجملة وحدة في التحليل باعتبارها تمثل وحدة معنوية مستقلة تتضمن معنى تاماً (طعيمة، ١٩٩٥).

خامساً: جمع البيانات وتحليلها

قام الباحثون بقراءة مادة كل كتاب من الكتب المختارة للتحليل قراءة فاحصة دقيقة، وسجلوا في كشوفات خاصة ما تشير إليه كل جملة وبشكل صريح من القيم التربوية، محددين نوع القيمة راشرين مرات تكرارها في كل درس من الدروس، وكذلك تعيين الصفحة التي أخذت منها الجملة المتضمنة للقيمة التربوية والكتاب الذي أخذت منه، وبعد الانتهاء من عملية التحليل جمعت تكرارات كل قيمة في كل كتاب والنسبة المئوية لما تمثله كل قيمة بالقياس إلى مجموع القيم الواردة في مجتمع الدراسة.

وتحقيقاً لصدق التحليل فقد تم تحديد ما تعنيه كل قيمة من القيم التربوية وعرضت أحياناً أمثلة لما تعنيه كل قيمة تجنباً للإطناب في سرد هذه القيم، وفضلنا عدم تصنيفها تحت عناوين عامة «دينية وطنية اجتماعية اقتصادية»... الخ تجنباً للصعوبة النسبية في تحديد نوع القيمة من ناحية ومصدرها من ناحية أخرى.

أما ثبات التحليل فقد عمل الباحثون على تحديده باختيار أربعة من طلبة ماجستير التربية ممن درسوا مساقات في مناهج البحث وحلقات التخصص بمنهجية تحليل المضمون واستخداماتها وطلب إلى كل منهم أن يحلل عينة من الكتب التي تمثل مجتمع الدراسة على نحو ما قام به من إجراءات أثناء التحليل مستعينين بالوصف التفصيلي لما تعنيه كل قيمة من القيم التربوية، وقد بلغت نسبة العينة في حدود ١٠% من مجتمع الدراسة وقد قورنت نتائج التحليل من خلال المعادلة الآتية:

$$\text{معامل الثبات} = \frac{\text{ن (متوسط الاتفاق بين المحكمين)}}{\text{ن (متوسط الاتفاق بين المحكمين)} + 1}$$

$$0,89 = \frac{2,76}{3,07} = \frac{0,69 \times 4}{(0,69)(3) + 1}$$

وبذلك بلغ معامل الثبات للتحليل ٠,٨٩ وهي قيمة تشير إلى ثبات التحليل الذي قام به في الدراسة الحالية.

سادساً: نتائج الدراسة

للإجابة عن السؤال الأول: ما هي القيم التربوية الواردة في كتب اللغة العربية في الصفوف من الأول إلى الثالث من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن؟ يعرض الجدول (١) توزيع القيم التربوية وتكراراتها الواردة في كتب اللغة العربية المقررة للصفوف من الأول إلى الثالث في مرحلة التعليم الأساسي. ويلاحظ أن القيم التي حظيت بالأهمية من حيث ارتفاع عدد التكرارات كانت على النحو التالي:

١. القيم التي تكررت بشكل مرتفع (٣١ مرة فأكثر) هي: التعاون، حب التعلم، النظافة، النظام، إتقان العمل، الأمانة، الحفاظ على البيئة، التذوق الجمالي.
٢. القيم التي تكررت بشكل متوسط (١٦ - ٣٠ مرة) هي: الصدق، الإنجاز، الحياء، احترام الآخرين، الطاعة، المساواة ونبذ التعصب، الرحمة والرفق بالحيوان، الإيمان، العقيدة، الإيثار، الإخلاص، الوفاء، حب السلام، الصداقة، التسامح، حب الأسرة، احترام دور المرأة، مراعاة آداب المرور، التكيف مع متغيرات العصر، غرس الأشجار ورعايتها، الإبداع.
٣. القيم التي تكررت بشكل متدن (١- ١٥ مرة) هي: المحافظة على الوقت، الحرية، الشجاعة، الترويح، الكرم، تحمل المسؤولية، الادخار، العزم والتصميم، الحذر واليقظة، الاعتراف بالذنب، الشورى، تقدير التراث الثقافي، احترام العمل اليدوي، التكنولوجيا، العقلانية وتشجيع الابتكار، إتباع القواعد الصحية، التفاؤل وحب الحياة، تقبل المعوقين، حب الطموح، الثقة بالنفس، التفكير العلمي، البعد عن التفكير الخرافي.

٤ . حظيت بعض القيم باهتمام خاص من مؤلفي الكتب فجاءت تكراراتها أعلى من سواها كالتذوق الجمالي مما لم يكن يلقي عناية من مؤلفي الكتب في الماضي . فالتذوق الجمالي يعمل على الرقي بالفرد من الناحية الانفعالية مما يجعله يحس بالرضا والطمأنينة وإشباع حاجاته إلى الأمن فيتهياً لتحقيق طموحاته في تحصيل المعرفة وإنمائها .

٥ . من القيم التي لقيت عناية من مؤلفي الكتب التي خضعت للتحليل في الدراسة الحالية الانتماء الوطني وهي قيمة أساسية يحتاج الأفراد إليها في أي مجتمع ، إذ لا شيء ادعى إلى الإحساس بالثقة والشعور بالطمأنينة من أن يحس الأفراد بالاعتزاز بوطنهم الذي يعطيهم هويتهم المميزة ويمنحهم الشعور بالواجب الملحق على عاتقهم تجاهه بذلاً وتضحية وفداء .

٦ . رغم أن القيم التي تكررت في الكتب المقررة أكثر من سواها، وكان لها الصدارة من حيث التأكيد عليها هي قيم إيجابية يحتاج المتعلم إلى أن يكتسبها لينمو نمواً متكاملًا وبخاصة تلك التي تشجع على اندماجه في مجتمعه كالتعاون واحترام الآخرين والانتماء الوطني، إلا أن قيماً أخرى، لا تقل أهمية عن تلك، جاءت في مرتبة دنيا مثل: المحافظة على الوقت، الشورى، الادخار... الخ، مما يشير إلى تقصير هذه الكتب عن الوفاء بما يتوقع منها من اشتغال على تلك القيم الإيجابية بنفس القدر من التكرار الذي يفترض في هذه الدراسة أن يكون دالاً على إعطاء أهمية خاصة لقيمة ما إذا تكررت في مقرر معين .

٧ . إن التلاميذ الذين يدرسون الكتب التي خضعت للتحليل في الدراسة الحالية هم في مرحلة التعليم الأساسي، وغالبيتهم في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة، وتبدو الحاجة ماسة في تربيتهم إلى الاهتمام بالقيم التي تنمي فيهم النواحي الاجتماعية .

ويلاحظ أن غالبية القيم التي حظيت بتكرارات عليا هي من القيم الذاتية كحب التعلم والإنجاز والشجاعة والتذوق الجمالي والصبر والحياء، بينما غلبت الناحية الاجتماعية على القيم التي كانت تكراراتها أقل كالشورى والمحافظة على النظام والمحافظة على الوقت والنظافة والادخار . وكان من المتوقع أن تحظى القيم التي تنمي الناحية الاجتماعية عند تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي وبخاصة في الصفوف

الأولى بعناية كبرى إذ انهم في حاجة ماسة إلى الخروج من تمحورهم حول ذواتهم، والانطلاق إلى عالم ارحب هو المجتمع الذي يعيشون في فيتشربون قيمه ويصلون إلى درجة التكيف والاندماج فيه.

وفي ضوء نتائج الدراسة الحالية يوصي الباحثون بإجراء المزيد من الدراسات للكتب المقررة في مرحلة التعليم الأساسي في المواد الدراسية الأخرى، لان القيم التربوية هي من العمومية بحيث ينبغي أن تحظى بعناية مناهج التعليم كافة.

ولعل ما انتهت إليه الدراسة الحالية يفيد المعنيين بمناهج التعليم عند إعادة النظر في المناهج المقررة والرغبة في تطويرها ليتوجه اهتمامهم إلى التأكيد على إبراز القيم التربوية التي تنسجم مع متغيرات العصر التي يحتاج إليها طلبة هذه المرحلة من التعليم وبحيث تتلاءم مع مطالب تلك المرحلة النمائية، ومما يناسب ميول التلاميذ واهتماماتهم وحاجاتهم.

جدول رقم ١ : تكرارات القيم التربوية ونسبتها المئوية الواردة في كتب اللغة العربية للصفوف من الأول إلى الثالث الأساسي

الرقم	القيمة	التكرار	النسبة المئوية
١	الصدق	٢٥	٠,٠٢٥
٢	النظافة	٣٦	٠,٠٣٦
٣	النظام	٣٥	٠,٠٣٥
٤	إتقان العمل	٣١	٠,٠٣١
٥	المحافظة على الوقت	١٢	٠,٠١٢
٦	الإنجاز	٢٩	٠,٠٢٩
٧	الحرية	١٠	٠,٠١٠
٨	الحياء	٢٦	٠,٠٢٦
٩	الانتماء الوطني والقومي	٣٣	٠,٠٣٣
١٠	الشجاعة	١٢	٠,٠١٢
١١	التعاون	٤٥	٠,٠٤٥

٠,٠٣٩	٣٩	حب العلم	١٢
٠,٠١٥	١٥	احترام الآخرين	١٣
٠,٠١٧	١٧	الطاعة	١٤
٠,٠١٦	١٦	المساواة ونبذ التعصب	١٥
٠,٠١٠	١٠	الترويح	١٦
٠,٠١٥	١٥	الكرم	١٧
٠,٠٢٨	٢٨	الرحمة والرفق بالحيوان	١٨
٠,٠٠٩	٩	تحمل المسؤولية	١٩
٠,٠٢٥	٢٥	الإيمان	٢٠
٠,٠٢٣	٢٣	العقيدة	٢١
٠,٠١٦	١٦	الإيثار	٢٢
٠,٠٣٨	٣٨	الأمانة	٢٣
٠,٠١٦	١٦	الإخلاص	٢٤
٠,٠١٧	١٧	الوفاء	٢٥
٠,٠١٨	١٨	حب السلام	٢٦
٠,٠١٦	١٦	الصدقة	٢٧
٠,٠١٥	١٥	التسامح	٢٨
٠,٠١٤	١٤	الإحسان	٢٩
٠,٠٠٣	٣	الادخار	٣٠
٠,٠٣٠	٣٠	الصبر	٣١
٠,٠٢٧	٢٧	حب الأسرة	٣٢
٠,٠١٥	١٥	التواضع	٣٣
٠,٠٣٢	٣٢	التذوق الجمالي	٣٤
٠,٠٣٤	٣٤	الحفاظ على البيئة	٣٥
٠,٠٠٣	٨	العزم والتصميم	٣٦
٠,٠٠٣	٧	الحذر واليقظة	٣٧

٠,٠٠٤	٤	الاعتراف بالذنب	٣٨
٠,٠١٠	١٠	الشورى	٣٩
٠,٠١٠	١٠	تقدير التراث الثقافي	٤٠
٠,٠٠٧	٧	احترام العمل اليدوي	٤١
٠,٠٠٥	٥	التكنولوجيا	٤٢
٠,٠٠٦	١٣	العقلانية وتشجيع الابتكار	٤٣
٠,٠٠٦	١٢	اتباع القواعد الصحية	٤٤
٠,٠٠٥	٧	التفاؤل وحب الحياة	٤٥
٠,٠٠٨	٨	تقبل المعوقين	٤٦
٠,٠١٦	١٦	احترام دور المرأة	٤٧
٠,٠١٧	١٧	مراعاة آداب المرور	٤٨
٠,٠١٦	١٦	التكيف مع المتغيرات	٤٩
٠,٠١٦	١٦	غرس الأشجار ورعايتها	٥٠
٠,٠٠٩	٩	حب الطموح	٥١
٠,٠٠٨	٨	الثقة بالنفس	٥٢
٠,٠١٠	١٠	التفكير العلمي	٥٣
٠,٠١٥	١٥	الإبداع	٥٤
٠,٠٠٨	٨	البعد عن التفكير الخرافي	٥٥
٠,٠١٠	١٠	الابتكار	٥٦
%١٠٠	٩٩٨	المجموع	

ملاحظة: لم يورد المؤلفون قائمة تفصيلية بمراجع البحث.